

## رواية

محمد طعان  
في أعماق العراق

في روايته الثامنة التي عرّبت أخيراً، يحافظ الكاتب اللبناني (بالفرنسية) على متانة الحكمة والسرد المتماسك. إنها حكاية بلاد الرافدين بتاريخها وقومياتها وعاداتها التي تجري على مسرحها الحروب والدم والعبث

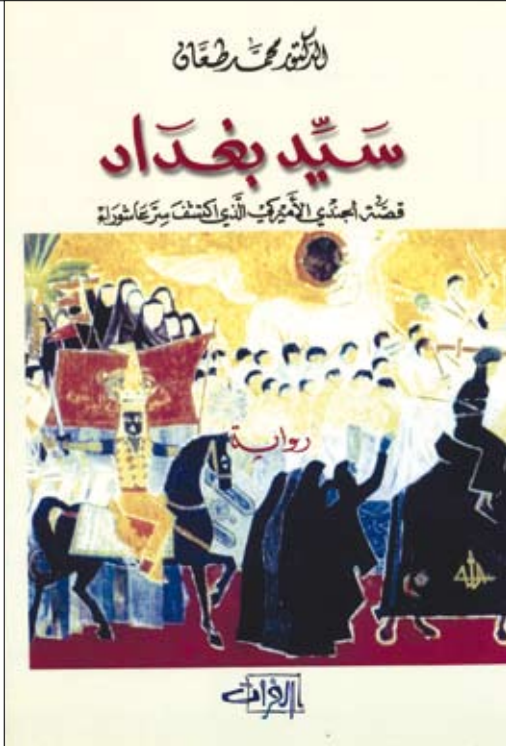
## صباح زوين

الرواية الثامنة لمحمد طعان «سيد بغداد» (دار الفرات - تعريب موفق لصالح سالم)، صدرت بالأصل في لغة موليير عام 2006. منذ روايته «أراشيد» (1997) حتى «سيد بغداد»، ظل طعان محافظاً على جودة النص وامتانة الحكمة واللغة والسرد المتماسك. يتمايز نصّه بسلاسة ودفق في سرد الحكاية وتفكيك عناصرها، عبر فصول تتلاحق وتتكامل كحبات مسبحة متناسقة.

وخلافاً للأصل الفرنسي، تأتي النسخة العربية للرواية بعنوانين على الغلاف، حيث الأول أساسي هو «سيد بغداد»، والثاني ثانوي يختصر لبّ القصة، وهو «قصة الجندي الأميركي الذي اكتشف سرّ عاشوراء». ولعل اختيار العنوان الثاني سببه أن الجندي الأميركي يمثل أحد المحاور الرئيسية في الرواية. محاور تنطوي كلها على نقاط متفرعة من فكرة أساسية هي حكاية الشيعة، وخصوصاً شيعة العراق. لكن لو دخلنا في التفاصيل، فسرى أنفسنا أمام عمارة هائلة من الكلام الذي يراوح بين ما يشرحه الراوي عن أصول المذهب الشيعي. وهنا يأخذنا إلى المصدر، أي إلى التاريخ، وما يشرحه عن تاريخ العراق الحديث مروراً بالغزو الأميركي وانتهزام صدام، وصولاً إلى الكلام على الأمور المتعلقة بالبيئة، كالكوارث التي طالت منطقة الأهوار

في الجنوب العراقي. هذه المنطقة التي خربها نظام صدام بسبب قراره تحويل مياه دجلة والفرات عنها ليسهل عليه القضاء على المتمردين، مروراً أيضاً، بنحو خاص، بجيمي الجندي الأميركي الفار من الخدمة لعدم اقتناعه بمنطق الحرب الكاذب. قبل أن يغادر إلى الأهوار ويستقر فيها ويعتنق المذهب الشيعي، تساءل هذا الجندي مراراً عن جدوى هذه الحرب. ثم التقى مصادفة بالسيد، وهو سيد بغداد كما سماه طعان. التقى به في كربلاء حيث إقامته بعد انهيار نظام صدام، فوجه السيد نحو هذا المذهب. ولا ننسى تفاصيل مهمة أخرى توقف عندها المؤلف بذكاء، كتلك التي تكلم فيها عن وطبان، وهو أحد المسؤولين السابقين في المؤسسة الاستخباراتية لدى صدام حسين.

من خلال هروبه وتكرهه، تمكن وطبان بفضل ممارساته الاستخباراتية التي ظل يواظب عليها حتى بعد دخول الجيوش الغربية إلى العراق، من العثور على المرأة التي لطالما رغب فيها. إنها أمانة الكولية (من مجموعة الكوالي المعروفين بولائهم لصدام) التي هربت مع ابن السيد أيام حكم صدام وتزوجته، ما جعل وطبان ينتقم منها بقتل والديها. أما ابن السيد، أي زوج أمانة الشيعي، فأرسل له وطبان رجاله للقبض عليه، إلا أن الشاب تمكن من الهروب خارج البلاد مع صديقه أحمد الشيعي أيضاً. لكنهما عادا إلى العراق، ومات أحمد - صديق زوج



## أبدع الكاتب في الإحاطة السيكلوجية لشخصياته

والوقوع بين أيدي الجنود الأجانب. أصبح إذاً الجلال والضحية معاً. وفي هذه المحطة المهمة من الرواية، أبدع طعان في دخول السيكلوجيات الدقيقة لشخصياته المختلفة. ولا يمكننا إغفال محطة أخرى في الرواية، ألا وهي تلك التي تحكي عن المقابر الجماعية التي أنشأها صدام. بعد اكتشافها من قبل الوحدات الإنكليزية، بلغ الروائي أوج الحكمة عندما كشف كيف أن الضحية والجلاد دفنا في الحفرة ذاتها (زوج أمانة وعنصر الاستخبارات الذي كان يطارده).

قصة حزينة ومعقدة، حيث الخراب والدمار اللذان لحقا بالبلاد ترفاقاً مع خراب روحي ونفسي. فرد الروائي مساحات متساوية في الكنتاب لفصوله الـ 25، حيث كل موضوع وكل شخصية نالا معالجته الأدبية بانضباط وامتانة. شرح التاريخ والمواضيع الأخرى كالغزو والبيئة والسوسيولوجيا البغدادية والكربلائية - الأهوارية، والقوميات والعادات والإثنيات. رواية تداخل فيها العبث والجنون والموت والهذيان، غنية تشبه عاشوراء.

أمانة - بطعنة يوم عاشوراء من قبل وطبان الذي كان متنكراً بزي امرأة، إلا أن أمانة التي كانت تشارك في هذا الاحتفال الديني، فضحته، وكان للمصلين الذين عرفوه، وتذكروا شره أيام الحكم البائد، أن مزقوه حتى مات بين أيديهم. يصف الكاتب وطبان وصفاً مؤثراً وكبياً، إذ حوّل أسير ذاته وأسير الغزو الأميركي. ورغم أنه حول أمانة بدورها إلى أسيرة في غرفته تهابه، وظل متمكناً من أساليبه الاستخباراتية (ظل يستعمل زلمة اللوشاية، وبعد نيل مراده، يقتلهم)، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة عليها خارج الغرفة لكونه يخشى الخروج

## لمحات

◀ هي منشدة نصف عراقية تقيم في فرنسا، وهو مصور فوتوغرافي نصف عراقي يقيم في بريطانيا. في رواية «غرام براغماتي» (دار الساقى) لعالية ممدوح، نتتبع كتابات هذا الثنائي العاشق ليومياته العابقة بشكوى الحب والوحدة والشهوة والعقد العاديّة. أنجزت الروائية العراقية كتابها الجديد بين عامي 2007 و2009 في العاصمة الفرنسية، فيما كانت روايتها «التشهي» (الأداب - 2007) تثير ردود فعل إيجابية. تجدر الإشارة إلى أنّ ممدوح نالت عام 2004 جائزة نجيب محفوظ للرواية عن عملها «المحوبات» (الساقى - 2003) الذي ترجم إلى الإنكليزية.



◀ في «شكري العسلي (1868-1916) من أجل الاستقلال العربي ومقاومة الصهيونية» تكشف الباحثة الأردنية سهيلا سليمان الشلبي سيرة وكفاح مناضل عربي، انتهى مشنوقاً في دمشق، على يدي جمال باشا السفاح. البحث الصادر عن «مركز دراسات الوحدة العربية» يضيء جوانب مغمورة من تلك الشخصية. فقد كان العسلي من بين أوائل العرب الذين عملوا للاستقلال عن الدولة العثمانية، ومواجهة سياسة التتريك، إضافة إلى مقاومة الأطماع الصهيونية في فلسطين.

◀ «إلى الطامحين في إنجاز تشريعات جنسانية عربية، معاصرة عقلانية، تستفري التراث، وتستشرف القادم» أهدي هيثم سرحان كتابه. في «خطاب الجنس - مقاربات في الأدب العربي القديم» (المركز الثقافي العربي)، يعود الجامعي والكاتب الأردني إلى بدايات الخطاب الجنسي في الأدب العربي، ويبحث الجنسية في الإسلام من النص إلى التأويل.



◀ هل يعود التخلف عند العرب إلى أسباب داخلية؟ يفنّد المفكر السوري محمد شحرور رؤيته لمرحلة الانحطاط العربي والإسلامي، في حوار مشوّق أجراه الكاتب السوري أنبي حسن، وصدر أخيراً في كتاب «رؤية علمانية للإسلام: حوار مع الدكتور محمد شحرور» (دار نون). ويلفت صاحب «القصص القرآني» إلى أن جذور التخلف في مجتمعاتنا تعود إلى انهزام العقلانية/ المعتزلة أمام الغزالي وأتصاره.

◀ صدر العدد 39 من «بانيبال»، المجلة المعنية بترجمة الأدب العربي الحديث إلى الإنكليزية، وفيه ملف احتفائي بالأدب التونسي الحديث. يشتمل الملف على مقالات وقصائد ونصوص روائية وقصصية. وتضم «بانيبال» أيضاً قصائد لادونيس، وفصلين من رواية لفاضل العزاوي، وقصة قصيرة بعنوان «شال أبي الأبيض» لمكاري سعيد...



◀ «حكايا المسيار» (الدار العربية للعلوم ناشرون) كتاب مبني على قصص حقيقية، يسردها الكاتب الإماراتي عبد الله عادل الشويخ. بحكم عمله في مجال العلاقات العامة، تحول الكاتب إلى مستشار في القضايا العاطفية، ما أتاح له فرصة أن يسمع قصصاً كثيرة عن زيجات غريبة.

## شعر

## أحمد لوغليمي: مزاج هايكو

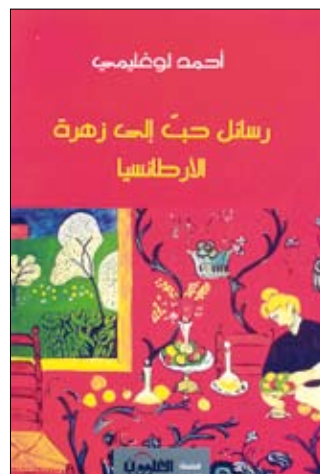
## حسين بن حمزة

لم يعد شعر الـ«هايكو» الياباني غريباً عن الذائقة العربية. فقد ترجمت نماذج كثيرة منه، وباتت أسماء بعض شعرائه الكبار موجودة في ذاكرتنا إلى جوار أسماء وتجارب شعرية عالمية أخرى. إلى جانب الترجمة، حاول بعض الشعراء العرب كتابة قصائد تحذو حذو الهايكو في الاقتصاد اللغوي والكثافة التعبيرية وإنجاز المقطع الشعري بضرية واحدة. البعض نجح إلى حد ما، والبعض الآخر وقع في فخ التقليد الساذج. أضف إلى ذلك أن تقنية الهايكو تسربت إلى تجارب عديدة من دون أن يكون ذلك مغلماً أو ممارسة شعرية قائمة بحد ذاتها. داخل هذا السياق، يمكن استقبال «رسائل حب إلى زهرة الأرتانسيا» (منشورات الغاؤون)، وهي باكورة الشاعر المغربي أحمد

لوغليمي، الذي سبق أن مذ المكتبة العربية بعدد من الترجمات.

لا يبدو لوغليمي مبتدئاً، ولا يشكو ديوانه من العثرات الكبيرة المصاحبة للبدائيات عادة. نحن هنا أمام تجربة شعرية مستجدة، لكنها تظهر دراية ونضجاً معقولين في النظر إلى الشعر والكتابة. كما أن طموح الشاعر إلى إنجاز كتاب كامل على منوال الهايكو يكشف عن مزاج خاص وميل واضح إلى خوض نوع من التحدي مع نموذج شعري يتطلب احتياطياً ضرورياً من التأمل والذكاء والخيال.

بتضمن الديوان مئة وثلاثين قصيدة تتفاوت في جودتها وقدرتها على إدهاش القارئ. هناك قصائد جيدة لا يسعنا إلا أن نطيل التلذذ بالمعنى الذي تكتنزه في داخلها، كما هي الحال حين نقرأ قصيدة «استحياء»: «لشدة الأزهار/ عدلت عن/ عبور الغابة»، أو «قمر البركة»: «القمر



## دراية ونضج في النظر إلى الشعر والكتابة

في البركة/ تبعثره/ ضفدعة»، أو «غفلة»: «نظرتني/ تدهس شقائق النعمان/ في طريقها إلى الكرن». معظم القصائد مكتوبة بدرجة ما من الاتقان تجعلها جيدة وقادرة على مجازاة ذكاء المتلقي، لكن الشاعر يفاجئنا ببعض المقاطع المباشرة مثل قصيدة «أخوة»: «نحلة... نحلة/ لا تلعيني/ فنحن أخوة في العسل»، أو العائدية مثل قصيدة «نزيف»: «كم طعنة تكفيك/ كي تنزف/ قصائد»، أو الفجة مثل «ورطة»: «وانت نتعزين/ تشهرين في وجهي كل ترسانتك/ وكاننا في حرب».

بقي أخيراً أن نشير إلى أن الشاعر انغمس في الهايكو إلى درجة المحاكاة الكاملة التي تشعرنا أحياناً باننا نقرأ شعراً يابانياً مترجماً تواصل فراشاته ودعاسيقه وحلازينه ويعاسبه حياتها في النسخة العربية.